

الفصل الثاني عشر تشغيل الأطفال

تفاصيل الشغل

من الأقوال الشائعة في هذا الصدد: «من الأسهل أن أعمل ذلك بنفسى». في حين تقول أمّ أخرى: «لكنى أشعر بالذنب إذا شغلّتهم، فذلك شغلى أنا». كانت تفاصيل الأشغال المنزلية من أحد المجالات الضعيفة في أسرنا. حيث أننا كنا نكلّف الأطفال بالأشغال بين الحين والآخر، لكن قلّما كنا ندرّبهم على اتباع روتين معيّن في تنفيذها. ولو أتيح لنا البدء من جديد، لحصل هذا المجال على اهتمام أكثر. في السّنوات الأولى، تكون الأمّ المسؤولة الأولى عن هذا التدريب. وعندما يكبر الطفل فيستطيع إخراج اللعب من الصندوق، يكون قد كبر بما يكفي لإعادتها إلى مكانها.

أيتها الأم، ليكن وقت تفاعلك مع طفلك وقت تدريب دائماً. ذلك أمر طبيعي ومسلّ. بدلا من لعبة «المسّاة»، العبا لعبة «ترتيب اللعب». فتقولين له: «انظر، أنا وضعت واحدة فوق الأخرى، والآن حان دورك لتضع واحدة. أحسنت. أنت ولد ذكي، وأنت تساعد ماما كثيرا». كلّفهم بأعمال منزلية في حدود نطاق تركيزهم، فهي إن زادت أرهقتهم، وإن قلّت فقدت معناها وصارت تافهة.

عندما يكون الأطفال دون الخامسة، يتطلب تشغيلك لهم وقتاً أطول من خدمتهم. لكن ذلك أفضل وقت لترسيخ عادات دائمة. عند بلوغهم الرابعة أو الخامسة يجب أن لا يشعروا بأنهم مرغوبون فقط، بل وأنهم مطلوبون ونافعون أيضاً. يقول جيراني الأمّش إن الأطفال قبل سنّ سبعة أعوام عبء على الأسرة، أمّا بين سنّ السابعة والرابعة عشر فهم يدفعون نفقة إعالتهم. وبعد سنّ الرابعة عشر، يصبحون ثروة تُدرّ الربح. ببلوغ الطفل سنّ السابعة يجب أن يسهّل عليك حياتك. والدار المليئة بأطفال في سنّ السبعة أعوام يجب أن تكون مكثفية ذاتياً.

ضروري بالنسبة إلى الصّورة الذاتيّة للطفّل أن يشعر بقيمة مساهمته. قد يعطلك ببطئه في العمل، لكن سعادته تكون أعظم عندما يعلم أن إسهامه له قيمة. أيتها الأم، اقبض شيئاً من الوقت في تدريبهم وهم صغار، فتقدين أن ترتاحي متى كبروا.

علّموهم تنظيف كل ما يوسّخونه، فقتلّ وساختهم. قسّموا الأعمال البتيّة بينهم حسب أحجامهم وقدراتهم. الطفل الذي يشتغل دون قدرته يمل ويسأم. فإذا أعطيته شغلاً يتحدى قدراته، صار الطفل مبتهجاً. لا تدفع مالاً أو رشوة للطفل في مقابل العمل؛ هذا باستثناء إذا كان العمل خارجاً عن نطاق الأعمال المنزلية الروتينية. فإذا قام الأب مثلاً بعمل خارج المنزل وأشرك فيه ابنه، يجوز للولد أن يشارك في الأرباح بما يتناسب مع عمله.

كذلك الأمّ يجب أن تتذكّر دائماً أنها تشكّل من ابنتها زوجةً
وأماً للمستقبل. لذلك حفّزي قدراتهنّ بالخياطة والطبخ والتنظيف؛
علّميهنّ كل شيء. دعيهن يضعن أيديهن في العجين. يجب أن
يحكين عمّ «صنعتُه أنا وماما اليوم» بمجرد قدرتهن على الحديث
وسرد الحكايات.

أيها الآباء، ما أن يستطيع الأولاد ملاحظتكم في البيت، حتى
يجب أن «يساعدوكم» في العمل. كان أولادي يتسلّقون فوق نشارة
الخشب ويتعثّرون في النباتات الشوكية وهم لا يزالون قصار القامة.
كانوا يُدخلون الحطب منذ صغرهم، فكانوا يشكّلون فريقاً
ويدحرجونه عبر الباب. إذا تركتم أبناءكم في رعاية النّساء، فلا
تندھشوا إذا بلغوا السادسة عشر وكانوا يتصرّفون مثل الفتيات.

مررنا مؤخراً بدار جارٍ لنا، ورأينا مشهداً مثيراً للشغف. كان الأب
يقف صابراً بجوار ولديه (الأول عمره عام والثاني عامان) يعلّمهما
كيف يطويان المشمّع. كان أصغرهما لا يكاد يقوى على الوقوف،
وكانت كفولته متدليّة وتحتاج إلى تغيير، لكن بات واضحاً أنه في
طريقه ليكون «ذراع» أبيه اليمنى.

عندما كانت الأسر جزءاً من عائلة أكبر، أو حتى عندما يحضر
الأولاد مدرسة أميرية، لا يكون غياب الأب أو من ينوب عنه ذا قيمة
كبيرة. لكن حينما يترك الأب المنشغل ولده مع مجموعة من البنات
وتقوم أمه بتدريسه في البيت، كثيراً ما تنقصه الرجولة.

تُحَقَّر التربية الحديثة من التمييز بين أدوار الجنسين. لا تدع شرذمة من اللوطيين والملحدّين يعيدوا برمجة مشاعرك الطبيعيّة بخصوص الفوارق بين الذكر والأنثى، بحجة أنّهم علماء نفسانيون محترفون. الصبي يحتاج إلى قدوة رجلٍ ليكبر ويكون رجلاً.

أيتها الزوجة، هلا- قلت كلمة؟ (بقلم ديبى بيرل)

من أهم جوانب تدريب الطّفّل أن تدعه يتحمّل مسؤوليات حقيقية. يحتاج الأطفال أن يروا أهمية مساهمتهم في إدارة الأسرة. وتدريبهم في هذا الاتجاه يمنع التعارك والتنازع على الأعمال المنزلية عندما يكبر الأطفال في السنّ. اقضِ بضع دقائق مع كل طفل كل يوم وراجع معه الأعمال المنزلية المختلفة خطوة بخطوة. كانت ابنتنا الصغرى التي عمرها سبع سنوات تحتاج إلى شغلة تتطلّب الاجتهاد. فكُلّفت بمسؤولية الحَمّام الرئيّسي. هي لا تحافظ على نظافته فقط، بل هي أيضاً مسؤولة عن إمداده بكل الاحتياجات الصّورية.

عندما حان وقت ذهاب ابنتنا الكبرى إلى كلية الكتاب المقدس، دعت أختيها الأصغر منها، وهما في عمر التاسعة والحادية عشرة، وسلّمت لهما مسؤولياتها. علمتُ أنّي أحسنت تربيتها حين رأيتها تدربهما على الأعمال المنزلية المتعدّدة، من كيّ وطبخ وتنظيف للمطبخ. كان الموقف عبارة عن تسليم للقيادة (كما يحدث في الجيش)، فكانت المناسبة رزينة ومثيرة جداً للبنّتين الصغريّين. أمّا بالنسبة إلى الأخت الكبرى، فكان اليوم يوم افتخار

كبير بأنها قادرة على تكليف أختيها الصغريين بمسؤولياتها. ولاحظت على مدار السنة التالية كيف قامت الأختان الصغريان، بكرامة عظيمة، بكل واجباتهما المنزلية.

طبعاً أنا ربة البيت، لكنهما تحلان محلّي عند غيابي. كثيراً ما رجعت إلى البيت متعبة بعد جلسة مشورة مرهقة لأجد العشاء جاهزاً، والدار نظيفة، والملابس مغسولة، والبسمة مرتسمة على وجه ابنتاي وهما تحنيان أمامي انحناءة على سبيل الدعابة عندما أدخل من الباب. وفي مرات كثيرة، بعد قضاء الصباح كله في تشجيع أمّ مجهّدة، منهكة، مُحمّلة بالأعباء، كنا نسمع نداءً بهيجاً عندما يحين موعد الغداء. كان الأطفال الصغار يصفّون حول السفرة منهمكين في الأكل، بينما تُقدّم لنا -نحن الأمهات- وجبة غداء طيبة. إن مناسبة مثل تلك تقنع الأم أكثر من كل التعلّم النظري الذي أقدمه. ستكافئي عن كل دقيقة تقضيها في تدريب طفلك بمائة ضعف.

نحن نعيش بين جالية «الأمّش» الألمانية، وقد رأينا ذلك يتكرر المرة تلو الأخرى. فقد تعلّم أبناؤنا عدة صناعات قبل بلوغهم الرابعة عشر. فهم قادرون على الفلاحة، والعمل في الإنشاء، ونقل وتقطيع الأخشاب، والبحث عن الأعشاب. إنهم يحبّون العمل. والانضباط في العمل ينعكس على الانضباط في الدراسة. ولقد أثبتت الخبرة الواقعية أن التعليم المتكامل، أي النظري والعملي، هو الأصلح.

هناك نوع من الثقة لا يمكن الحصول عليه إلا عند رؤية عمل يديك المكتمل الصنع.

حدثت مؤخراً حالة وفاة بين إحدى أسر الآمش في منطقتنا. فعاد كثيرون من الإخوة والأخوات إلى مسقط رأسهم لدفن أخيهم المحبوب. نال كل هؤلاء الأشقاء نفس القسط من العمل الشاق والتأديب الدؤوب، وثمانى سنوات فقط من التعليم الأساسي بين جالية الآمش. وكان يرقد في صندوق الصنوبر، تحت شجرة التفاح، خارج مبنى الكنيسة القديمة، فالأح عادى يُرجح أن دخله لم يزد على ألفى أو ثلاثة آلاف دولار في السنة.

كان منظر الإخوة الخمسة وهم يُودعون أخاهم الراقد شاذاً في هذا الوضع البدائي. كان أحدهم جراح مخ وأعصاب، والآخر محامياً، والآخر مخططاً للمدن، والآخر عالماً في علوم الكمبيوتر. أمّا شقيقهم الخامس فقد نجح في حياته، وهو الآن سعيد في زواجه ويعمل مزارعاً في طائفة المينونيت. إذا كنت تعتبر الأربعة الأوائل ناجحين، فاعرف أن فرص التعليم المبكرة هي التي أفادتهم، بل الثقة والطموح اللذان ينبعان من العمل الشاق والتأديب الدؤوب في إطار الأسرة.